

الدعوة إلى الله

بقلم

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

الأستاذ بكلية

الدعوة إلى الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما.

وبعد:

فان مقام الدعوة إلى الله تعالى مقام عظيم ومرتبة عالية لأنه مقام صفوة خلق الله تعالى من الرسل الكرام وخلفائهم الراشدين الذين خلفوهم في العلم بالحق والعمل به والدعوة إليه فجدير بنا أن نولي هذا المقام مجهودنا ونسعى فيه السعي اللائق مخلصين لله في ذلك متبعين لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون سعينا مشكورا مقبولا.

وهذه كلمات في هذا المقام رتبها في الفصول الآتية:

الفصل الأول: في وجوب الدعوة إلى الله وبيان فضلها.

الفصل الثاني: في وسائل الدعوة إلى الله وكيفيةها .

الفصل الثالث: في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الرابع: فيما ينبغي أن يكون عليه الداعي من صفات وأعمال.

الفصل الخامس: في أسباب نجاح الدعوة.

الفصل الأول

في وجوب الدعوة إلى الله تعالى وبيان فضلها:

الدعوة إلى الله تعالى دعوة خير وحق لأنها دعوة إلى العدل والاحسان. دعوة إلى ما تقتضيه الفطر السليمة وتستحسنه العقول الخالصة وتركن إليه النفوس الزكية.

فهي دعوة إلى الايمان بالله تعالى وإلى كل عقيدة سليمة يطمئن إليها القلب وينشرح بها الصدر، دعوة إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، دعوة إلى اليقين بأنه سبحانه واحد في ربوبيته لا شريك له فلا خالق ولا مدبر ولا متصرف في هذا الكون تصرفا مطلقا إلا الله وحده، وبهذا اليقين ينقطع تعلق القلب بغير الله تعالى ويكون الخوف والرجاء والتوكل خاصا بالله عز وجل، دعوة إلى اليقين بأنه لا حاكم على العباد ولا بين العباد إلا الله وحده فيما يقضي به من أقدار وما ينزله من شرائع. وبهذا اليقين ينقطع التحاكم إلى غير شرع الله وينبذ كل حكم خالف حكم الله ورسوله لأن كل حكم خالف ذلك فهو ظلم وباطل نتيجته فساد البلاد والعباد.. " وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " سورة المائدة.

وبهذا اليقين يدعن العباد لأحكام الله الشرعية وينفذونها على ما أراد الله بها سواء وافقت أهواءهم أم خالفتها كما أنهم مدعنون لأحكام الله القدرية فقضاؤه نافذ فيهم، وهم مستسلمون له رضوا ذلك أم كرهوه. " أَفَعَيِّرُ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَكُلٍّ أَسْكَمُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ " سورة آل عمران.

والدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى عبادة الله وحده وإيماننا وبقينا بأنه لا يستحق العبادة أحد سواه لا ملك ولا نبي ولا ولي ولا غيرهم لأن الله هو الخالق وحده فيجب أن يكون هو المعبود وحده.

والدعوة إلى الله دعوة إلى الايمان الجازم بكل ما ثبت لله تعالى من أسماء أو صفات من طريق كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنها كلها صفات حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (سورة الشورى).

والدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى اتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين صراط الله الذي وضعه لعباده موصلا إليه ومصلحا لأمر دينهم ودنياهم. وبهذا الاتباع تنقطع طرق الابتداع التي يضلل مبتدعوها بعضهم بعضا وتتفرق بهم الأهواء عن دين الله ويتبعون غير ما أمرهم به مولاهم في قوله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِحِلْمِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ» (سورة الانعام). ويقعون فيما نهاهم الله عنه من التفرق حيث يقول سبحانه: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (سورة الشورى).

والدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وحفظ الحقوق وإقامة العدل بين الناس باعطاء كل ذي حق حقه وتنزيله من المنازل فيما استحقه، وبذلك يتحقق الاخاء والمودة بين المؤمنين ويستتب الأمن التام والنظام الكامل داخل اطار شريعة الله سبحانه وتعالى وتضمحل كل الأخلاق السافلة والأعمال السيئة والنظم الجاهلية المستمدة من القوانين الوضعية والعقائد الباطلة، ويذل كل من قاموا بها ودعوا إليها، وأرادوا صد عباد الله عن سبيله إليها.

ومن أجل هذه الأمور وأضعافها وأضعاف أضعافها من المصالح ودرءه المفاسد صار للدعوة إلى الله تعالى مقام عظيم في الاسلام وصار القائمون بها وارثين للرسل الكرام في ذلك وجاءت في الأمر بها وبيان فضلها نصوص الكتاب والسنة:

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا

يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْآخِرَةِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ سورة الحج وقال تعالى: وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدْلٍ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ سورة القصص.

وقال سبحانه: ﴿٣٢﴾ «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٣٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ أُورِفُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَبَىٰ شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿٣٤﴾ فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴿٣٥﴾ (سورة الشورى) وقال تعالى: وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾ (سورة آل عمران).

وقال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ (نصلت).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام والصلاة والزكاة، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم.. متفق عليه، وعن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.. رواه مسلم، والدعوة إلى الله تعالى من النصيحة لله سبحانه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثم من اتبعه، ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئا.. رواه مسلم.

فهذه الآيات والأحاديث تدل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى وفضلها وذلك لما يترتب عليها من تبليغ شريعة الله وحفظها وحصول المصالح العظيمة للخلق في معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم واندفاع الشرور العظيمة عنهم إذا هم قبلوها وعملوا بها والله الموفق.

الفصل الثاني:

في وسائل الدعوة إلى الله تعالى وكيفيةها:

أعني بوسائل الدعوة الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته وهي ثلاثة أنواع ولكل نوع ميزة خاصة به.

النوع الأول:

المشافهة المباشرة بأن يقابل الداعي المدعويين ويخاطبهم وجها لوجه فيبين لهم حقيقة ما يدعوهم إليه وفضائله وثمراته الطيبة المشهودة والموعودة، وميزة هذا النوع أن الداعي يعرف مدى قبول المدعويين وانشراح صدورهم للدعوة من ملامح وجوههم ليعاملهم بما تقتضيه حالهم ويتمكن من المحاورة بينهم وبينه حتى يصل بهم إلى حال القبول والاعتناق وهو أبلغ في الغالب تأثيرا مما بعده.

النوع الثاني:

المشافهة غير المباشرة كالتي تحصل بواسطة المذياع، وميزة هذا النوع أنها أعم مما قبلها وأشمل من حيث أنها تصل إلى ما لا يوصل إليه بالمشافهة المباشرة.

النوع الثالث:

الكتابة عن طريق التأليف والنشر في الصحف والمجلات واللافتات وغيرها مما يناسب، وميزة هذه أنها تمكن المدعويين من إدراك ما يدعى إليه بالقراءة مرة بعد أخرى والتمعن في فضائله وثمراته.

وأما كيفية الدعوة إلى الله أعني من حيث الخطاب بها فتختلف بحسب حال المدعو وله ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون راغبا في الخير مقبلا عليه لكنه قد يجهله ويخفى عليه فهذا يكفي في حقه مجرد الدعوة مثل أن يقال له: هذا مما أمر الله به ورسوله فافعله أو هذا مما نهى الله عنه ورسوله فاجتنبه. وهو من أجل رغبته في الخير واقباله عليه سيقبل ويطيع.

الحال الثانية: أن يكون عنده فتور وكسل عن الخير أو اقبال ورغبة في الشر، فهذا لا يكفي معه مجرد الدعوة، بل لابد أن يضاف إليها موعظة حسنة بالترغيب في الخير والطاعة وبيان فضل ذلك وحسن عاقبته وضرب الأمثال في العواقب الحميدة، وموعظة حسنة بالترهيب من الشر والفسوق وبيان اثم ذلك وسوء عاقبته وضرب الأمثال في العواقب السيئة للفاسين "تَزَكَّكَانْ عُقْبَةَ الَّذِينَ نَاسُوا السَّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ" (سورة الروم).

الحال الثالثة: أن يكون عنده اعراض عن الخير واندفاع الى الشر ومحااجة في ذلك، فهذا لا يكفي في حقه مجرد الدعوة والموعظة بل لابد أن يضاف إليها مجادلته بالتتي هي أحسن، أحسن في المجادلة وأحسن في بيان الحق لتندحض حجته وتبطل طريقته، وإلى هذه الأحوال الثلاث يشير قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (سورة النحل).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: الناس ثلاثة أقسام اما أن يعترف بالحق ويتبعه فهذا صاحب الحكمة واما أن يعترف به لكن لا يعمل به فهذا يوعظ حتى يعمل واما أن لا يعترف به فهذا يجادل بالتتي هي أحسن لأن الجدل فيه مظنة الاغصاب، فاذا كان بالتتي هي أحسن حصلت منفعتة بغاية الامكان كدفع الصائل. أه ص ٤٥ ج٢ فتاوي.

فان سلك المدعو بعد الجدل بالتتي هي أحسن سبيل العدل واعترف بالحق واذعن له وإلا انتقلنا معه إلى:

الحال الرابعة: التي أشار إليها قوله تعالى: «وَلَا تَجِدُ لَوَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبِغْيِ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» (سورة العنكبوت)

قال ابن كثير رحمه الله أي حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحجّة وعاندوا وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدل إلى الجلال ويقاثلون بما يمنعهم ويردعهم أهـ. وهذه الحال الرابعة قد لا تكون من وظائف الأفراد غير ذوي السلطة لأن سلوك الأفراد لها إذا لم يكونوا من ذوي السلطة يحدث من الفوضى ما يكون فيه ضرر كثير وفساد كبير.

هذه كيفية الدعوة من حيث الخطاب بها ينظر فيها إلى حال المدعو باعتبار تهيؤه لقبولها أو رفضها.

أما كيفية الدعوة من حيث ترتيب ما يدعى إليه فيبدأ بالأهم فالأهم وبالأسس التي تكون كالمقدمات لما بعدها وينتقل بالمدعو إليها مرحلة مرحلة.

مثال ذلك: إذا أردنا أن ندعو شخصا ينكر وجود الخالق سبحانه للاقرار به وعبادته واتباع رسوله فالتنا نبدأ معه باثبات وجود الخالق وذلك بسياق الأدلة العقلية وضرب الأمثلة الحسية على وجود الخالق سبحانه حتى يقر ويعترف به وبأنه وحده الخالق لا شريك له.

ثم نتنقل به إلى اثبات ألوهيته ووجوب عبادته لأن اقراره بالربوبية يستلزم اقراره بالألوهية، ولذلك يرتبه الله عليه في القرآن كثيرا كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» (سورة البقرة) وينكر سبحانه على من أشرك به من لا يخلق كقوله تعالى: «أَبَشْرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ» (سورة الاعراف) وقوله تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَنْفُسَهُمْ صَنَعًا وَلَا نَقُتَهُمْ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» (سورة الفرقان).

ثم تنتقل به الى اثبات الطريق إلى عبادته ووجوب سلوكها وهي طريق الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق وأيدهم بالآيات ليعلموا الخلق ما ينفعهم من أمور الغيب ويبينوا لهم كيف يعبدون الله عز وجل لأن العبادة حق لله تعالى أوجه على عباده على الوجه الذي يرضاه عنهم ولا يمكنهم معرفة ذلك إلا عن طريق الرسل، فاذا أقر بأنه لا بد في عبادة الله من طريق يسير عليه ولا يمكن معرفة ذلك إلا عن طريق الرسل انتقلنا به إلى طريق أخص وهو طريق الرسول المعين الذي يجب اتباعه وهو رسول الله محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي المبعوث الى الناس كافة ونبين له الآيات الدالة على ذلك وأن الايمان به يتضمن الايمان بمن سبقه من الرسل ولا عكس، فاذا أقر بذلك انتقلنا به الى التفصيل فيما جاءت به شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ليقر به ويلتزم العمل بادئين بالأهم فالأهم كالصلاة ثم الزكاة وهكذا..

الفصل الثالث

في مجال الدعوة إلى الله تعالى

نعني بمجال الدعوة إلى الله تعالى ميادينها المختلفة، فإن الدعوة إلى الله ليست محصورة في ميدان معين بل لها ميادين عديدة منها:

١ - الاتصالات الشخصية بحيث يقصد الداعي الى شخص ما فيدعوه إلى الله تعالى بحسب الكيفية السابقة في الفصل الثاني خطابا وترتيباً.

٢ - الأماكن الهامة كالمساجد والمجتمعات كمواسم الحج والأندية والمقاهي والمطاعم ونحو ذلك حسبها تقتضيه المصلحة وتتطلبه الحاجة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في مواسمها وأسواقها ويدعوهم إلى الله عز وجل فقد روى الامام أحمد رحمه الله عنه عن ربيعة بن عباد الديلي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في سوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ومن حديث جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف فيقول: هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل قال ابن كثير وقد رواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي حسن صحيح قال ابن اسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس في الموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله عز وجل وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

٣ - أمكنة الدراسة كالمعاهد والمدارس والجامعات سواء كان ذلك عن طريق المحاضرات والندوات العامة أم عن طريق الدروس الخاصة فان المدرس المخلص لدينه يستطيع أن يدعو إلى الله تعالى بمقاله من خلال القاء الدروس أو بحاله من العبادة وصدق المعاملة ونحو ذلك فان المدرس قدوة لطلابه وأعماله وأخلاقه تنطبع في أذهانهم وتظهر في أعمالهم وأخلاقهم.

الفصل الرابع

فيا ينبغي أن يكون عليه الداعي من الصفات والأفعال

مقام الداعي مقام قيادي هام ينبغي للداعي أن يقدره قدره ويوليّه عنايته ولكي يتحقق ذلك فليراع ما يأتي:

١ - الاخلاص لله تعالى في عمله بحيث يقصد بدعوته التقرب إلى الله عزّ وجلّ ونصر دينه واصلاح عباده باخراجهم من ظلمات الجهل والعصيان إلى نور العلم والطاعة فتكون دعوته نابعة عن محبة لله ولدينه ومحبة الخير لكافة البشر والدعوة النابعة عن اخلاص مع القوة والعزيمة والاعتماد على الله لا بد أن تؤثر وتعمل عملها.. ألا ترى إلى قصة موسى عليه الصلاة والسلام حين حشد الناس له ضحى يوم زينتهم وجمع له فرعون كيدته ثم أتى بأهنته وعزته وكبريائه: «قَالَ لَهُ مُوسَى وَيْلَكَ لَا تَنْفِرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسَبِّحَ كُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرَى» (سورة طه). فماذا فعلت هذه الكلمة؟ انها فرقت كلمتهم وشئت شملهم في الحال بدون تأخير «فَسَزَعُوا أَمْرَهُم بِئِنَّهُمْ» (سورة طه) والتنازع أكبر أسباب الفشل وذهاب الريح كما قال سبحانه: «وَلَا تَسْزَعُوا فَمَا تَشَلُّوا أَوْ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» (سورة الانفال).

فاخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمر مهم بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها، أما ان قصد مراعاة الناس بذلك أو أراد شيئاً من الدنيا مالا أو جاهاً أو رئاسة فعمله حابط ونفعه قليل، قال الله تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْخَيْرَ الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُجْسُونَ» أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (سورة مود).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان

أول الناس يقضى يوم القيامة عليه - فذكر الحديث وفيه - ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قاري فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..رواه مسلم).

٢ - أن يعتقد أنه - بدعوته إلى الله تعالى - وارث لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في نشر سنته وهديه ليكون ذلك حافزا له على اتباعه في الدعوة إلى الله تعالى والصبر فيها ورجاء الثواب عليها والدخول في قوله تعالى: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» (سورة يوسف) .

٣ - أن يكون ثابتا في دعوته إلى الله تعالى راسخ القدمين لا تزعزعه المضايقات ولا يحطمه اليأس لأنه واثق من صحة طريقته مؤمل لنتيجتها فهو واثق من الحسنيين مؤمل للزيادة واثق من بيان الحق وثواب الآخرة مع اخلاص النية واصلاح العمل مؤمل لصلاح الخلق بدعوته ولو بعد حين.

٤ - أن يصبر ويصابر فيصبر على ما يناله من أذى الخلق لأن من قام بهذه المهمة فلا بد أن يناله أذى من شرار الخلق المناوئين لدعوته - وما أكثرهم - أذى قولي وأذى فعلي إما بالنيل منه أو بالنيل من دعوته واعتبر ذلك بما جرى للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن سبقه من الرسل الكرام «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلُكَ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا وَوَاحْتَى أَنفُسُهُمْ فَصَبَرُوا وَلَمْ يُنْزِلْ إِلَيْكُمُ اللَّهُ» (سورة الانعام) والصبر درجة عالية لا تنال إلا بالأسباب التي يتجرع بها العبد مرارة الصبر ويتحمل بها مشقته «إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (سورة الزمر) وليصابر في بيان الحق والدعوة إليه والمجادلة فيه ويتسم بطول النفس وبعد النظر حتى تتحقق له الغاية المنشودة.

٥ - أن يسلك طريق الحكمة في الدعوة إلى الله فيستعمل الأساليب المناسبة للحال والمقام، فليس الناس سواء في الفهم والعلم وليسوا سواء في لين الجانب وغلظه وليسوا

سواء في التواضع للحق والاستكبار عنه فليستعمل مع كل شخص ما يناسبه ويكون أقرب إلى قبوله وانقياده فان هذا من الدعاء إلى الله بالحكمة، وليكن مرنا متحملا فلا ينفرن من شخص رآه منحرفا ويدعه في ميدان انحرافه للشيطان بل يتصل به ويبين له الحق ويرغبه فيه فكم من انسان استبعد أن يهتدي ثم هداه الله عز وجل، ومن الحكمة أن لا يجابه المدعو بانكار ما هو عليه من باطل إذا كان ذلك يزيد نفورا عن الحق وتوغلا في المنكر، وقد أرشد الله إلى ذلك بقوله: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ" (سورة الانعام) .

ولكن يذكر له الحق ويرغبه فيه حتى يتمكن من قلبه فيسهل عليه ترك ما ألفه من الباطل، فان ترك المؤلف صعب على النفوس وليس من السهل أن يدعه الانسان إلا بمقاومة كبيرة . وانظر إلى حكمة الله تعالى في تشريع تحريم الخمر حين كان مألوفاً عند الناس فكان تحريمه على مراحل بعد أن وقع السؤال من المؤمنين عنه:

المرحلة الأولى: في جواب سؤالهم "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا كَبِيرٌ مِنْ شَرِّهِمَا" (سورة البقرة) .

لم يقل منفعة بل قال منافع ليشمل كل ما يكون أو يتصور من منفعة في ذلك وأن كل هذه المنافع تتصاغر في جانب الإثم الكبير فيه وهذا كشف لحقيقة الخمر وكل انسان يتدبر في أمره فسوف يؤثر الاقلاع عنه وإن لم يكن محرماً عليه حيث علم أن اثمه أكبر من نفعه ثم أن في هذا التعبير تلميحا بتحريمه فان من قاعدة الشريعة أن ما ترجحت مضرته على منفعته كان حراما فتستشعر النفوس بأنه سيحرم، فاذا جاء التحريم صادف أنفسا مستعدة لذلك فسهل عليها قبوله.

المرحلة الثانية: المنع من قربان الصلاة في حال السكر: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (سورة النساء) .

وهذا على أقل تقدير يشمل اجتنابه في خمسة أوقات في اليوم واللييلة فتعتاد النفوس على الامتناع منه في بعض الوقت ليسهل عليها الامتناع الكلي فيما بعد.

المرحلة الثالثة: المنع منه في جميع الأوقات والأحوال في قوله تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩١﴾ سورة المائدة ».

فانتهى الضحابة عن ذلك بكل يسر وسهولة بعد تلك التمهيدات لتحريمه، فسبحان الحكيم الرحيم.

وبايعت ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط أن لا صدقة عليها ولا جهاد فقبل منهم وقال: « سيتصدقون ويجاهدون » رواه أبو داود، وذلك لأن الايمان إذا دخل في القلب استلزم قيام المؤمن بجميع شرائع الاسلام، وكلما كان الايمان أقوى كان قيامه بواجبات الايمان ومكملاته أتم.

٦ - أن يكون الداعي عالماً بشريعة الله التي يدعو اليها وعالماً بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية والعملية.

عالمًا بشريعة الله ليدعو إلى الله على بصيرة وبرهان حتى لا يضل أو يضل وليكون داخلًا في قوله تعالى: « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي يُوسِفَ ».

وليستطيع أن يدافع عن دعوته ويقنع خصمه وكم من داع كان جاهلاً فحصل من المضرة عليه وعلى ما يدعو إليه شيء كبير لأنه يهزم أمام الباطل لقلة ما معه من العلم بالحق، ولهذا لا يجوز تمكين مثل هؤلاء الجهال من الدعوة كما لا يجوز تمكين الصبيان من الجهاد.

عالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية والعملية ليستعد لهم ويسلك في دعوتهم ما يليق بأحوالهم، ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قوماً أهل لكتاب فأخبره بحال من بعثه إليهم من أجل الغرضين السابقين

فان الداعي اذا دعاهم وهو لا يعرف حالهم قد ينعكس عليه هدفه وقد يبدأ بغير المهم أو بغير الأهم ويترك ما هو أولى منه.

٧ - أن يكون الداعي على جانب كبير من الدين والأخلاق ليكون قدوة صالحة في العلم والعمل فيقوم بما يأمر به من طاعة أو فضيلة ويبتعد عما ينهى عنه من معصية أو رذيلة فليس من الدين أن يأمر بشيء ولا يأتيه وأن ينهى عن شيء ثم يقع فيه .. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾" (سورة الصف) .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه يعني أمعاءه في النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية»، وكما أن مخالفته لما أمر به ووقوعه فيما نهى عنه مخالفة للدين فهي مخالفة للعقل أيضا، قال الله تعالى: " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ﴿١﴾" (سورة البقرة) .

وذلك أن دعوته إلى الشيء إما أن تكون عن اقتناع بفائدته ومصلحته فمخالفته حينئذ اما وقوع في ضرر ان كان مما ينهى عنه أو تفويت لمصلحة ان كان مما يأمر به وكلاهما خلاف العقل لأن العاقل لا يفوت على نفسه المصالح ولا يوقعها في المضار، واما أن تكون دعوته اليه لا عن اقتناع بفائدته ومصلحته وهذا أعظم لأنه أتعب نفسه فيما لا يراه مفيدا وتلبس بشوب ليس هو من أهله، وإذا كان قد دعا رياء فقد غر نفسه وخدعها لأن أمره سيضمحل وحاله ستنكشف قال الله تعالى: "فَأَمَّا الزُّبُرُ فَيَذَرُهَا حِفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسَ بِمَنْكُ فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾" (سورة الرعد) . وقال الشاعر:

ثوب الرياء يشف عما تحته :: فإذا اكتسبت به فانك عار

وليعلم الداعي أن تهاونه بطاعة الله ليس كتهاون غيره لأنه قدوة للناس، فمتى رآه متهاونا صاروا مثله أو أشد تهاونا منه ولذلك قد يكون الشيء المستحب واجبا في

حق الداعي إذا توقف ظهور السنة على فعله إياه وكذلك تجرؤ الداعي على معاصي الله ليس كتجرؤ غيره لأن الناس يقتدون به فيها فيترتب على ذلك تعدد المعصية وشيوعها بين المسلمين والفهم إياها فينقلب نكرها عرفا بسبب تجرؤ هذا الداعي عليها، ولذلك قد يكون الشيء المكروه حراما في حق الداعي إذا كان فعله إياه يؤدي إلى اعتقاد الناس إباحته، فعلى الداعي أمانة ثقيلة ومسؤولية كبيرة نسأل الله أن يعيننا جميعا على القيام بها على الوجه الذي يرضيه عنا إنه جواد كريم .

٨ - أن يكون الداعي وقورا في هيئته وقوله وفعله بدون جفاء ليكون أهلا للتوقير فلا يطمع فيه المبطلون ولا يستخفه المخلصون، يجذّ في موضع الجذب ويمزح في موضع المزاح يتكلم إذا كان الكلام خيرا ويصمت إذا لم يكن في الكلام خيرا.. وإلى جانب وقاره ينبغي أن يكون واسع الصدر منبسط الوجه لين الجانب يألف الناس ويألفونه حتى لا ينفضوا من حوله فكم من سعة صدر وبساطة وجه ولين جانب أدخلت في دين الله أفواجا من الناس.

الفصل الخامس:

في أسباب نجاح الدعوة

نجاح الدعوة هو الثمرة التي يسعى إليها الدعاة ولولا ما يؤملونه من نجاح دعوتهم لانحطت قواهم وتضاءلت دعوتهم، وجدير بكل داع أن يعرف أسباب نجاح دعوته ليأخذ بها حتى يصل إلى النتيجة المرضية فمن أسباب نجاح الدعوة:

١ - تطبيق ما سبق في الفصل الثاني والرابع..

٢ - أن يكون للدعوة سند من ذوي السلطة في الدولة فإن الدعوة والسلطة هما دعامتا اصلاح الأمة، فاذا التقيا واجتمعا تحقق بهما الهدف والمقصود باذن الله وان هما افترقتا ضاع المجهود أو ضعف إلى حد كبير.

لذلك يتحتم على كل دولة تريد العزة الحقيقية الثابتة والتمكين في الأرض أن تأخذ بدين الله عز وجل وتسير على هدي رسوله صلى الله عليه وسلم مستغنية بذلك عن كل التعاليم والنظم التي لا تتفق مع دين الله تعالى وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم لأن كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر، فمن أخذ بكلمة الله ودينه فسيكون له العلو والظهور على كل من خالفه "وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ يَكُونُ ظُهُورًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿١٠٧﴾" سورة الروم (١٠٦).

ويتحتم على كل دولة تريد العزة الحقيقية الثابتة والتمكين في الأرض أن تنصر الدعوة إلى الله عز وجل بكل ما تستطيع من أسباب النصر القولية والفعلية ترغيبا وترهيبا، فإن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وإذا ضعف الايمان في قلوب الناس صار الوازع السلطاني أردع لهم عن المعاصي وأقوم لهم في الطاعات حتى يستقيموا ويصلحوا.

وكذلك يتحتم على الدعاة إلى الله على بصيرة أن يتصلوا بذوي السلطة في الدولة ويرغبوهم في السير على ما هم عليه من الحق ويبينوا لهم ما في ذلك من العواقب الحميدة والسعادة في الدنيا والآخرة ويحذروهم من مخالفة ذلك ويبينوا لهم ما في مخالفة الحق من العواقب السيئة والشقاء في الدنيا والآخرة، ويرغبوهم كذلك في نصر الدعوة إلى الله تعالى بكل ما يستطيعون من أسباب النصر ويحذروهم من خذلانها وفعل ما يقاومها ويضادها.

٣ - أن تصادف الدعوة محلا قابلا ومنبتا خصبا بحيث يكون المدعون مستعدين لقبولها ليس عندهم من الموانع والصوارف ما يحول بينهم وبين قبولها، وأغلب ما يكون ذلك في قوم عرفوا نتيجة ما هم عليه من الباطل وصاروا يتطلعون إلى من ينتشلهم منه. وانظر إلى ما صادفته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من المحل المناسب والوقت المناسب حين كانت على فترة من الرسل وانطماس من السبل والناس متشوقون إلى نور الرسالة ومتعطشون إلى ري غيثها، فإن الله سبحانه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب فكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في الناس كمثل غيث نزل على أرض جافة يابسة فبلته وامتصته وأظهر مثل على ذلك: ما جرى بين الأوس والخزرج في حرب بعثت قبل الهجرة بنحو خمس سنين قتل فيه خلق كثير من الحيين الأوس والخزرج ومن أشرافهم فكانوا في أمس الحاجة إلى ما يجمعهم ويؤلف بينهم، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يوم بعثت يوما قدمه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملوهم وقتلت سراتهم وجرحوا فقدمه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الاسلام وذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كلم من كلم من الخزرج في الموسم وعرض عليهم الاسلام فقبلوا وقالوا إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك.

أما إذا كانت الدعوة في قوم في مستقبل الباطل سكروا في خمرته وبهروا بزخارفه وغروا بسرايه فان نجاح الدعوة فيهم بطيء لأن تيار اندفاع الباطل فيهم قوي كمثل الماء

المحبوس إذا زال حابسه ولذلك يحتاجون إلى قوة عظيمة في الدعوة تقابل قوة ذلك التيار الجديد وتربو عليه وليكن ذلك بشتى الوسائل وعلى جميع المستويات والله المتسعان.

٤ - أن يكون لدى الداعي أمل كبير بعيد عن اليأس في نجاح دعوته فان الأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في انجاحها كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة ولهذا تحمد الله سبحانه يفتح لنبيه صلى الله عليه وسلم أبوابا كثيرة من الأمل كقوله: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» (سورة الزاريات). «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» (سورة الفتح). «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكُمْ» (سورة هود).

إلى غير ذلك من الآيات وانظر إلى أمل النبي صلى الله عليه وسلم الكبير ونظره البعيد في أشد يوم وجهه من قومه وذلك يوم رجوعه من الطائف حين دعاهم إلى الله تعالى فردوا دعوته وأغروا به سفهاءهم فلما بلغ قرن الشعالب ناداه جبريل فقال إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم فتاداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا.

فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في انجاحها والاستمرار عليها.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا دعاة إلى الخير نهاية عن الشر وأن يهيئ لنا الأمة الإسلامية من أمرها رُشدا قادة خير ورشد وولاة صالحين مصلحين يقضون بالحق وبه يعدلون، إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين صلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.